المحاضرة التاسعة : المدخل السلوكي ونظرية الرصاصة السحرية

❖ المدخل السلوكي:

ظهرت الاتجاهات السلوكية في علم النفس في الولايات المتحدة الامريكية في العقد الثاني من القرن العشرين واهتم السلوكيون الاوائل بدراسة الاحداث البيئية كمثيرات في علاقتها بالسلوك. وتركز الدراسات السلوكية على الظواهر الخارجية التي يمكن ملاحظتها، وعلى دراسة المنبهات التي تستثير أشكالا معينة من الاستجابات التي تأخذ شكلا صريحا يمكن ملاحظته، وبالتالي تستبعد تلك الشروح المرتبطة بالفكر والمعتقدات ومختلف العمليات الداخلية التي لا يمكن ملاحظتها. وتم إسقاط نموذج المثير والاستجابة على دراسة تأثير وسائل الاعلام على الجمهور، على اعتبار ان وسائل الاعلام هي المثير أو المنبه وتمثل ردة فعل الجمهور أو سلوكه الاستجابة. ومنه بنيت أفكار نظرية الرصاصة السحرية. وفيما يلي عرض لهذه النظرية.

❖ نظرية الرصاصة السحرية:

وتسمى كذلك نظرية القذيفة السحرية ونظرية الحقنة تحت الجلد. وظهرت هذه النظرية خلال الحرب العالمية الاولى على يد هارولد لاسويل. فعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في بدايات القرن العشرين، كانت مدعومة من قبل المؤسسات الصناعية الكبرى ولذلك فقد اعتمدت على القدرات الإنتاجية للشعوب المتحاربة ومن هنا بدأت عملية إشراك جميع طاقات الشعب وثرواته وإمكاناته في الحرب، وكانت وسائل الإعلام الجماهيري هي الطريقة الوحيدة لتوجيه الرسائل إلى الشعب لاستنهاض همته نحو القتال، فقامت هذه الوسائل بحملات دعائية على مستوى كبير وفي المقابل كان الجمهور يتلقاها بشغف ولا يشك في مصداقيتها وكان متفاعلا معها. وقد قال هتلر أثناء الحرب: " لماذا أخضع الأعداء بالوسائل الحربية ما دام في وسعي إخضاعهم بوسائل أخرى أرخص وأجدى، إن عملية استعداد المدفعية وهجوم المشاة في حرب الخنادق سوف تضطلع بها الدعاية مستقبلا ". لذلك تفترض

هذه النظرية أن لوسائل الاعلام تأثيرا مباشرا وقويا مثل تأثير الحقنة تحت الجلد. وقد ذكر ولبور شرام بأن الإعلام رصاص سحري ينقل الأفكار والمشاعر من عقل إلى أخر، وأن الجمهور متلقي سلبي لهذه الأفكار فلا يستطيع الوقوف في وجهها والدفاع عن نفسه أمامها.

وظهرت هذه القوة في 31 أكتوبر عام 1938 حيث كان الممثل اورسون ويلز متواجدا في أستوديو راديو CBS في نيويورك وقام ببث تمثيلية إذاعية درامية تحت عنوان "حرب الكواكب"، هذا البث الذي تم إعداده مشابها لبرنامج إخباري وصف بشكل واقعي وجدي غزو مخلوقات غريبة من المريخ للكرة الأرضية وسيطرتهم على أمريكا وعلى العالم ونيتهم هدم العالم بأسره. البث شمل مقابلات مع علماء مختلفين وخطاب من وزير الداخلية موجها للمواطنين ووصف حي لأحداث درامية.

وبالرغم من أنه أعلن أنَّ المسرحية خيالية في بداية البرنامج، وفي منتصفه ونهايته فإن أكثر من مليون شخص صدقوا ما سمعوه واعتقدوا بان هذا حقا ما يحدث بالواقع. البعض أصيب بالذعر والخوف، ودّعوا عائلاتهم، توجهوا للكنائس من اجل الصلاة والبعض هربوا من بيوتهم. هذا البث أُعتبر مثالا آخر للتأثير القوي لوسائل الإعلام على الناس وأدى إلى ترسيخ الاعتقاد بان الإعلام قادر على كل شيء. في أعقاب البث أُعدت أبحاث كثيرة أهمها حمل اسم "غزو المريخ".

❖ **الخلفيات النظرية لنظرية الرصاصة السحرية:**

تأثرت نظرية الرصاصة السحرية بعدد من النظريات التي تنتمي لمجالات مختلفة في العلوم الاجتماعية أهمها:

- **نظرية المجتمع الجماهيري في علم الاجتماع:**

وترى هذه النظرية أن الأفراد في المجتمع الجماهيري يتسمون بالعزلة النفسية عن الآخرين، وتنعدم بينهم المشاعر الحميمية عند التفاعل مع الآخرين، فيشعر الفرد بالوحدة والقلق والضياع وفقدان المرجعيات، ومن هنا فأنه يلجأ

لوسائل الاتصال الجماهيري لتعويض جماعات الأهل والعشيرة والقرية وللتخلص من التوتر. كما أنها تحل محل العلاقات الشخصية في النواحي الآتية:

- ✓ التسلية والإمتاع فهي وسيلة للترفيه وتمضية الوقت.
- ✓ مخدر ومسكن للشعور بالتوتر والقلق السائد في المجتمع الجماهيري
- ✓ مصدر للمعلومات في كل المجالات
- ✓ مرجعية للتوجيه والتنوير وتسهيل اتخاذ القرارات وتحديد المواقف بدلا عن مجلس العشيرة ومختار القرية.

- **النظرية السلوكية أو المنبه/الاستجابة في علم النفس:**

هيمنت هذه النظرية في بدايات القرن العشرين وهي تفسر سلوكيات الفرد على أنها مجرد ردود أفعال على منبهات خارجية تأتيه من المحيط الذي يوجد كالمحيط الطبيعي مثل شعوره بالبرد أو الحرارة فردة الفعل ستتمثل في وضع ملابس ثقيلة وخفيفة، أو المحيط الاجتماعي مثل أن يوجه لك شخص رسالة لطلب خدمة فتقدمها له.

واعتمد أصحاب نظرية الرصاصة السحرية على النظرية السلوكية حيث اعتبروا الرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة بمثابة منبهات خارجية فمثلا الدعاية السياسية منبه يدفع الشخص لتحديد موقف سياسي بالطريقة التي يرغب بها المرسل، والإعلان التجاري منبه يدفع المتلقي لإتباع سلوك استهلاكي محدد.

- **التحليل النفسي والنظرية الفردية:**

ترى أن سلوكيات الفرد تنبع من اللاوعي واللاشعور أو من العقل الباطن، وقد اعتبر أصحاب نظرية الرصاصة السحرية أن الرسالة الإعلانية والدعائية تتوجه إلى لاوعي الفرد. مثلا: لترويج سلعة معينة يتم ربطها بشخصية مشهورة يتمنى المتلقي للرسالة في أعماقه التشبه بها.

- **الدعاية السياسية:**

ظهرت الدعاية السياسية في الحرب العالمية الأولى وتم توجيهها لكل فئات الشعب، فبالنسبة للعسكريين لرفع روحهم المعنوية أما المدنيين لحثهم على الالتحاق بصفوف القوات المسلحة ودفعهم للزيادة في الإنتاج لدعم المجهود الحربي كالعمل لساعات إضافية بدون مقابل أو التبرع للحرب. كما أنها توجه أيضا للعدو لكسر روحهم المعنوية. فظهرت الدعاية السوفييتية وقامت بتحريض الطبقات العاملة والشعبية في الدول الرأسمالية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل قلب الحكم الرأسمالي وإقامة النظام الاشتراكي. كما ظهرت الدعاية النازية على يد هتلر ووزيره جوبلز والدعاية الفاشية.

❖ **افتراضات النظرية:** أهم الافتراضات التي قامت عليها النظرية ما يلي:

- أن وسائل الاعلام تقدم رسائلها للأعضاء في المجتمع الجماهيري الذين يدركون تلك الرسائل بشكل متقارب ان لم نقل متماثل.
- أن هذه الرسائل تقد مؤثرات أو منبهات تؤثر بقوة في عواطف ومشاعر الفرد.
- أن هذه المنبهات تقود الافراد إلى الاستجابة بشكل متماثل إلى حد ما، وتخلق تغييرات في التفكير والافعال بشكل متماثل عند كل الافراد، لأنهم متماثلون بيولوجيا.
- أن تأثيرات وسائل الاعلام قوية ومباشرة، ويرجع ذلك الى ضعف الضبط الاجتماعي مثل العادات والتقاليد.
- أن الفرد يتلقى المعلومات بشكل فردي ن وسائل الاعلام دون وسيط. فالأفراد يعيشون ذرات منفصلة في المجتمع الجماهيري ويفتقدون الى العلاقات الاجتماعية. وبالتالي فإن رد الفعل فردي ولا يعتمد على تأثير المتلقين على بعضهم.